المفارقة عند الشعراء اللصوص من قبيلة عُكَل

أ.م.د. عادل صالح حسن نعمان القباطي
أستاذ النقد الأدبي المشارك - كلية الآداب
جامعة الحديدة

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

Al-Yemenia University Journal
مجلة الجامعة اليمنية

المفارقة عند الشعراء اللصوص من قبيلة عُكَل

أ.م.د. عادل صالح حسن نعمان القباطي
أستاذ النقد الأدبي المشارك – كلية الآداب – جامعة الحديدة

ملخص الدراسة

يهدف هذا البحث إلى تناول ثلاثة من شعراء قبيلة عكل، وهم: جحدر العكلي والسمهري العكلي والخطيم المحرزي. وقد قام البحث برصد المفارقة في شعرهم، والكشف عن الأبعاد الجمالية للمفارقة في شعرهم؛ من خلال قراءة النصوص قراءةً تكشف عن صراعهم مع ذواتهم ونفسياتهم المنطلقة، وحؤول الواقع دون ذلك، والمفارقات التي يتعرضون لها: من الظلم الذي تعرض له هؤلاء الشعراء من تهميش وطرد، وما عانوه من قسوة في السجون وألوان العذاب الذي ذاقوه، ورغبتهم في الخروج من السجون.. فيستدعون الزمن الماضي في انطلاقهم مع نوقهم في الصحاري الموحشة ليلًا حيث الظلام المخيف، ونهارًا حيث حرارة الصحاري المهلكة، ويتحدثون عن طيف محبوباتهم وأحبابهم الذي يطرقهم ليلًا، ويجدون فيه التسلية والمخفف لهم من همومهم في هذه السجون، ويكشفون عن خذلان قبائلهم لهم.

وقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين ونتائج وملخص للبحث، إذ تناول المبحث الأول: المفارقة وإدراك الذات وفيه تناول: مفارقة الذات مع نفسها، ومفارقة الطيف، ومفارقة الذات مع القبيلة. وتناول المبحث الثاني أنوع المفارقات في شعرهم: المفارقة اللفظية والمفارقة الدرامية ومفارقة الحدث.

كلمات مفتاحية: المفارقة، الشعر، قبيلة عكل، النقد الحديث، الدلالة، الشعراء اللصوص.

Abstract:

This research aims to address three poets of the Uql tribe, namely: Jahdar Uqli, Al-Samhari Uqli and Al-Khatim Al-Mahrazi. The research monitored the paradox in their poetry, identified the patterns of paradox in their poetry and revealed the aesthetic dimensions of paradox in their poetry by reading the texts in a way that reveals their struggle with themselves and their free-spirited psyches, and the solutions of reality to that and the paradoxes they are exposed to from the injustice that these poets were subjected to from marginalization and expulsion, and what they suffered from cruelty in prisons and the types of torture they tasted and their desire to leave prisons, so they recall the past in their departure with their camels in the desolate.

المقدمة:

يتناول البحث: المفارقة عند الشعراء اللصوص من قبيلة عكل.

وعكل هي: إحدى قبائل العرب، وتنسب إلى امرأة تسمى عُكَل "حَضَنَتْ بني عوف بن وائل بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر فغلبت عليهم وسُمّوا باسمها، وهم: الحارث وجشم وسعد وعلي بنو عوف بن وائل، وأمهم بنت ذي اللحية من حمير"(1)، فقد برز عدد من الشعراء الصعاليك وقطاع الطرق في قبيلة عكل.

وقد تناول البحث ثلاثة من شعرائهم في العصر الأموي، وهم: جَحْدَرٌ العُكَلِيُّ، والسَّمْهَرِيُّ العُكَلِيُّ، والخَطِيمُ المِحرزِيُّ. فقد عاش هؤلاء الشعراء حياة الحرمان، وأحاطت بهم الهموم والأحزان من كل جانب، فجاء شعرهم معبرًا عن الشوق والحنين وتسلية النفس بالأطياف التي تطرقهم ليلًا، وتذكر الزمن الماضي زمن الاستقرار والألفة والقوة والحرية، وتعرضوا للملاحقة والسجون وذاقوا فيها ألوان العذاب، حتى يئسوا من الخروج، وعبروا عن المفارقات التي يواجهونها من سجن وعذابات وتشاؤم ويأس ورغبتهم في الحياة، ورؤية الأحباب والديار، والمفارقة بين انتظار الموت المحيط بهم والرضا بالقدر الذي كتب عليهم، وبين رغبتهم في التمرد على هذه الهموم ومحاولة الانتصار عليها، وقد حاولوا مواجهة هذه الهموم برباط القبيلة واستدرار عطفها، غير أن القبيلة خذلتهم، ومن هنا جاءت المفارقة بين موقفهم منها وموقفها منهم.

والمفارقة هي: "شكل من أشكال القول يساق فيها كمعنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر غالبًا ما يكون مخالفًا للمعنى السطحي الظاهر"(2).

وتتحدد المفارقة بوجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد؛ إذ يقدم صاحب المفارقة أو صانعها نصًا يحمل معنى أوليًا غير مقصود، يخفي في ثناياه معنى ثانويًا غالبًا ما يناقض المعنى الأولي، ويقوم المتلقي بالكشف برفض هذا المعنى الأولي والبحث عن معنى مخالف له، ولا بد من وجود ضحية في المفارقة، وقد تكون هذه الضحية هي: "أنا الكاتب أو أنت أو الآخر، وأيا ما كانت هذه الشخصية، فهي متهمة وبريئة، ولكنها في الوقت نفسه تدعي لنفسها ما هو مبالغ فيه على سبيل الافتراض فحسب. وهو وما يجعلها هشة وغير محصنة ومعرضة للهجوم ممن هو أعلى منها"(3)، وهي: "فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق في ما واقعه الاختلاف"(4).

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يأتي:

1- استكناه دلالات شعرهم.
2- الكشف عن أبرز أنماط المفارقة في شعرهم؛ لما للمفارقة من قدرة على تكثيف للمعنى، وابتعاد عن المباشرة اللغوية، وقدرتها على الجمع بين المتناقضات واستنطاق النص.
3- الكشف عن المعاني الكامنة خلف النصوص.

(1) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت – لبنان، ط2، 1995، 143/4.
(2) القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، مج2، عدد2، فبراير – مارس، 1982م، ص144.
(3) قضايا المصطلح الأدبي، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، مج7، ع3،4، إبريل- سبتمبر 1987ص 133.
(4) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، مكتبة ابن سيناء، القاهرة – مصر، ط4 1423هـ - 2002م، ص130.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

خطة البحث:

تضمن البحث: مقدمة ومبحثين ونتائج وملخص للبحث: تناول المبحث الأول المفارقة وإدراك الذات، وفيه تناول: مفارقة الذات مع نفسها، ومفارقة الطيف، ومفارقة الذات مع القبيلة، وتناول المبحث الثاني أنوع المفارقة في شعرهم: المفارقة اللفظية والمفارقة الدرامية ومفارقة الحدث.

أولًا: المفارقة وإدراك الذات:

مفارقة الذات مع نفسها:

تتخذ الذات الشاعرة موقفًا عدائيًا من السجن، ومن جميع عناصر الواقع المحاصر لها. وتعكس رؤيتها تجاه هذا العالم المليء بالمفارقات والمتناقضات المختلفة؛ فهي تدرك أنها محاصرة من الواقع بعناصره المختلفة: من الحاكم ومن الآخر ومن المكان والزمان، ومن ذاتها أيضًا.. وهذا ما يجعل التوتر على أشده بين الذات، وبين عناصر هذا الواقع، فتحاول هذه الذات توظيف المفارقات المختلفة، ساعية للبحث عن ذاتها في هذا الكوم من الحصار؛ لتجده في الأخير بالاستسلام للقدر المحتوم: فالحياة غرور "وهي صفة عرف بها شعر اللصوص، فالسجن إطار محدود لا يمكن الإفلات منه، والموت أصبح رهنًا بالإشارة التي تنطلق من أفواه أصحاب الشأن، وهي إشارة غير محدودة أيضًا، وفي ظل هذا الامتداد غير المحدود والحيرة القاتلة التي كانت تمتلك حياتهم كانت تتنازع نفوسهم فترات يائسة، وحالات مميتة أشد عليهم من الموت، وأقسى عليهم من لحظات التهيؤ له"(1).

فهذا الخطيم المحرزي يذكر المفارقات التي يعيشها في حياته: بين واقعه في السجن، وبين بعده عن محبوبته وأرضه وما يراه في نفسه وبين سخرية الآخر منه:

وَقَائِلَـــةٍ يَومًـــا وَقَـــدْ جِئْـــتُ زَائِـــرًا ... رَأَيـــتُ الخَطِـــيمَ بَعْـــدَنَا قَـــدْ تَخَـــدَّدَا

أَمَـــا إِنَّ شَـــيْبِي لَـــا يَقُـــومُ بِـــهِ فَتًـــى ... إِذَا حَضَـــرَ الشُّـــحُّ اللَّئِـــيمَ الضَّـــفَنْدَدَا

فَلَـــا تَسْـــخَرِي مِنِّـــي أُمَامَـــةُ أَنْ بَـــدَا ... شُـــحُوبِي وَلَـــا أَنَّ القَمِـــيصَ تَقَـــدَّدَا

فَـــإِنِّي بِـــأَرْضٍ لَـــا يَـــرَى المَـــرْءُ قُرْبَهَـــا ... صَـــدِيقًا وَلَـــا تَحْلَـــى بِـــهِ العَـــينُ مَرْقَـــدَا

إِذَا نَـــامَ أَصْـــحَابِي بِهَـــا اللَّيـــلُ كُلُّـــهُ ... أَبَـــتْ لَـــا تَـــذُوقُ النَّـــومَ حَتَّـــى تَـــرَى غَـــدَا(2)

يبدأ الخطيم بالحديث عن واقعه من كبر وشيب وشحوب وبعد عن موطنه ومحبوبته؛ إذ تتعجب المرأة من شيبه وشحوبه وهزاله وتغير لونه، بعد ما كان عكس ذلك. غير أن كل ذلك لا يضع من همته، ولا ينال من مكانته، فالعبرة ليست بالكبر وشيب الرأس بل بالكرم؛ فهو وإن كان قد شاب رأسه، فهو كريم لا يقوم بكرمه الشاب الضخم.. ونراه هنا راسمًا صورة ساخرة، طالبًا منها عدم السخرية؛ فالمفارقات التي يعيشها هي من تسببت بكل ذلك، وليس كبر سنه، ولا شيب رأسه، ولا سواد لونه، ولا شحوب وجهه. إنه في أرض ليس له فيها صديق، ولا يذوق طعم النوم فيها؛ فهو في السجن ومحبوبته بعيدة عنه، ذاكرًا صفاتها والأماكن التي يشتاق إليها (ذي قار، ورمل مُخَفَّق) وكيف كانوا مجتمعين فيها في عيش رفيع وحبين لم يتفرقا، وهي أحب إليه من كل البلاد، ولو عاد إليها لأنسته عَمَّان والشَّام:

(1) شعراء أمويون دراسة وتحقيق/نوري حمود القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل – العراق، 1396هـ 1976م، 159/1.
(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، صنعه/محمد نبيل طريفي، محمد علي بيضون دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ط1، 2004م - 1425هـ، 235/1.

لَيَـــالِي أهلَانَـــا جَمِيعًـــا وَعَيشُـــنَا رفيـــعٌ وشِـــعْبَا الحَـــيِّ لَـــمْ يَتَبَـــدَّدَا

لَهَـــا بَـــين ذِي قَـــارٍ وَرَمْـــلِ مُخَفِّـــقٍ مِـــن القُـــفِّ أَو مِـــن رَمْلِـــه حِـــينَ أَرْبَـــدا

أَوَاعِـــسُ فِـــي بَـــرْثٍ مِـــن الأرْضِ طَيِّـــبٍ وَأَوْدِيَـــةٌ يُنْبِـــتْنَ سِـــدْرًا وَغَرْقَـــدا

أَحَـــبُّ إِلَيْنَـــا مِـــن قُـــرَى الشَّـــامِ مَنْزِلًـــا وَأَجْبَالِهَـــا لَـــو كَـــانَ أَنْ أتَـــوَدَّدَا

أَعُـــودُ بِرَبِّـــي أَنْ أَرَى الشَّـــامَ بَعْـــدَهَا وعَمَّـــانَ مَـــا غَنَّـــى الحَمَـــامَ وَغَـــرَّدَا

فَـــذَاكَ الَّـــذِي اسْـــتَنْكَرْتُ يَـــا أُمَّ مَالِـــكٍ وَأَصْـــبحتُ منـــه شـــاحبَ اللَّـــون أسـودًا(1)

ويستدعي الخطيم المحرزي الزمن الماضي أيام حريته وتجواله في البلدان، أيام قوته وفتوته، ويُسَمَّى هذا الاستدعاء بالاسترجاع، وهو من المفارقات الزمنية، وفيه يكون الجهل بالنسبة للذات في الزمن الماضي، والمعرفة في الزمن الحاضر: فقد عجزت الذات عن استرجاع الزمن الماضي؛ فتلجأ - في خضم ذلك - إلى استرجاعه عن طريق الخيال، وتذكر هذا الزمن، ويمثل الشاعر هنا دور الضحية، إذ يحس بوطأة الزمن عليه، وهو يتأمل تحولاته ومفارقاته المختلفة، إذ يعيش فيه لاهيًا متغافلًا عن حقيقته ومفارقاته. وحين يكتشف الحقيقة يقع ضحية من ضحايا مفارقات هذا الزمن، فالزمن يكثف حضوره في النص، ومع مرور هذا الزمن، يتحول كل ما هو إيجابي إلى كل ما هو سلبي، يقول:

وَإِنِّـــي لَمَاضِـــي الهَـــمِّ لَـــو تَعْلَمِينَـــهُ وَرَكَّـــابُ أَهْـــوَالٍ يُخَـــافُ بِهَـــا الـــرَّدَى

وَمِسْـــعَرُ حَـــرْبٍ كُنْـــتُ مِمَّـــنْ أَشُـــبُّهَا إِذَا مَـــا الجَبَـــانُ الـــنِّكْسُ هَـــابَ وَعَـــرَّدَا

وَأَزْدَادُ فِـــي رَغْـــمِ العَـــدو لَجَاجَـــةً وَأُمْكِـــنُ مِـــنْ رَأْسِ العَـــدُوِّ المُهَنَّـــدا

وَيُعْجِبُنِـــي نَـــصُّ القِلَـــاصِ عَلَـــى الوَجَـــا وَإِنْ سِـــرْنَ شَـــهْرًا بَعْـــدَ شَـــهْرٍ مُطَـــرَّدَا

عَوَاسِـــفُ خَـــرْقٍ مَـــا لَهُـــنَّ تَئِيَّـــةٌ إِذَا مِلْـــنَ فِـــي سَـــهْبٍ تَعَـــرَّقْنَ قَـــرْدَدا

وَرَحْلِـــي عَلَـــى هَوجَـــاءَ حَـــرْفٍ شِـــمِلَّةٍ ذَمُـــولٍ إِذَا التَـــاثَ المَطِـــيُّ وَهَـــوَّدَا

مُوَثَّقَـــةِ الأَنْسَـــاءِ مَضْـــبُورَةِ القَـــرَى تَسُـــومُ بِهَـــادٍ فِـــي القِلَـــادَةِ أَقْـــوَدَا

علـــى مَرِسَـــاتِ الجَنْـــدَلِ الصُّـــمِّ رَقَّعَـــتْ بِهِـــنَّ كَمَـــا رَقَّعْـــتَ ظِلَّـــا مُمَـــدَّدَا

كَـــأن أَمَـــامَ الرَّحْـــلِ مِنْهَـــا وَخَلْفَـــه صَـــفيحًا لَـــدى صَـــقْقَيْ قَرَاهَـــا مُسَـــنَّدَا

سَـــفِينَةُ بَـــرٍّ تَحْـــتَ أَوْدَعَ لَـــا تَنِـــي براكبهـــا تجتـــاب ســـهبًا عمـــردا

تَـــذَاءَبُ أَحيانًـــا مِراحًـــا وَحِـــدَّةً زَهَتْهَـــا فَمَـــا بَالَيـــتُ أَلَّـــا تَزَيَّـــدَا

بِـــذِي شُـــقَّةٍ جَـــوَّابِ أَرْضٍ تَقَاذَفَـــتْ بِـــه سَـــارَ حَتَّـــى غَـــارَ ثُمَّـــتَ أَنْجَـــدَا(2)

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 237/1.
(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 237/1 -239.

يتذكر الخطيم المحرزي وهو في السجن الزمن الماضي أيام قوته، وكيف كان يمضي الهم ويزيله إذا حضره؛ إذ يركب الشدائد المخيفة المهلكة مستخدمًا صيغة المبالغة (رَكّاب) للدلالة على قوته وشجاعته، ويسعر الحرب ويشبها إذا خاف الجبان الضعيف من ذلك. ويتمكن من قتل العدو القوي، ويمضي همه بالسير، على ظهر إبل قوية سريعة، على الرغم من ألم في باطن أخفاف مناسمها. وهو يعبر عما يعانيه في السجن، ومع ذلك فما يزال قويًا يستدعي زمن القوة ولو خيالًا، فيستدعي ناقته، وقد كانت الناقة عند الشاعر القديم "وسيلته المفضلة في الهروب كلما حاصرته الهموم والأحزان، أو أحاطت به الأخطار"(1)؛ إذ تسير (عواسف)، وهي: التي تركب رأسها ولا يثنيها شيء، فهي تقطع (الخرق، والسهب) وهي: الصحراء الواسعة التي تنخرق فيها الرياح، فهو "يثوب عن التفكير في أمر الود والأحباب، ويصبح فراغ الصحراء كفراغ الزمان أهلًا للالتماس والتحية، والصحراء كانت ملاذ الشاعر من مرض الحنين إلى البشر. فإذا أراد الشاعر أن يعالج الإحساس بالحياة فليس أمامه إلا الصحراء"(2)، والقَرْدَد وهي المكان الغليظ من الأرض، أي أنها لا تفكر أين تضع أخفافها ومنسمها سواء في المكان السهل، أو الغليظ من فرط قوتها ونشاطها، إذ تسير كالمجنونة بلا قصد ولا هداية ولا توخ ولا حذر. وما ناقته إلا نفسه القوية، يواجه بها مفارقات الماضي القوي والحاضر المحاصر له، فناقته هي موضوعه الشعري يستدعيها "إذ لا يتحقق للذات فاعلية تنفيذية إلا بحضور الموضوع الشعري بوصفه محمولها الذي يتسع لرؤياها"(3).

ويستدعي الخطيم المحرزي زمنه الماضي، فيقول:

نَزَلْنَـا بِمَخْـشِيِّ الـرَّدَى آجِـن الصَّـرَى ... تَنَـادَرَهُ الرُّكْبَـانُ جَـدْبِ المُعَلَّـلِ(4)

غِشَاشًـا مَلَـا حتـى رَوَيـنَ وَعَلَّقُـوا ... أدوى سَـقوا فِيهَـا ولَمَّـا تَبَلَّـلِ

وأشْـعَثَ رَاضٍ فـي الحَيَـاةِ بِصُحبتي ... وإنْ مُـتُّ آسَـى فِعْـلَ خِـرْقٍ شَمَرْدَلِ

تَبَـدَّلَ بِـالنُّعْمَى بَئِيسًـا وشَـقَّهُ ... مَخَـاوفُ تُـزْرِي بِـالغَرِيرِ المُغَفَّـلِ

طَـرِيدٍ مَطَـا حَتَّـى كَـأَنَّ ثِيَابَـهُ ... عَلَـى جلـدِ مسجون وإن لَـمْ يُكَبَّـلِ

دَنَـا لِـي فَأَعْـدَانِي وقَـالَ وَقَـدْ بَـدَتْ ... شَـواهِدُ مَشْـهُورٍ أغَـرَّ مُحَجَّـلِ

وقَـال وقَـد مالَـتْ بِـهِ نَشْـوَةُ الكَـرَى ... نُعاسًـا وَمَـن يَعْلَـقْ سُـرَى اللَّيـلِ يَكْسَـلِ

أنِـخْ نُعْـطِ أنْضَـاءَ النُّعَـاسِ دَواءَهـا ... قليلًـا ورَقِّـه عـن قلائـصَ كُلَّـلِ

فَقُلْـتُ لَـهُ كَيـفَ الإنَاخَـةُ بَعْـدَمَا ... حَـدَا اللَّيـلَ عُرْيَـانُ الطَّرِيقَـةِ مُنْجَلِـي

ألا ترهَـبُ الأعـداءَ أن يَمْحلُـوا بنـا ... أو البَعْـثَ مـن ذاك الأميـرِ المُوَكَّـلِ

وأشْـعَثَ قَـدْ ألقَـى الوسـادَةَ فـانطوَى ... إلـى دَفِّ مَنجـاة الـذِّرَاعَين عَيهَـلِ

وقَـدْ ضَـمَرَت حَتَّـى كَـانَ وَضِـينَهَا ... وشَـاحٌ بِكَفِّـي ناهـدٍ لَـمْ تَسَـرْبَلِ

---

(1) قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1986م، ص269.
(2) صوت الشاعر القديم، مصطفى ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص96.
(3) مناورات الشعرية، محمد عبد المطلب، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط1، 1406هـ 1996م، ص33.
(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 249/1 – 251.

وهُـــنَّ يُقَطِّعْـــنَ اللُّغَـــامَ كَأَنَّـــهُ سَـــبائخُ مِـــن قُطْـــنٍ بِـــادْرُع غُـــزَّل
فَـــأَلْقَى بِثَنْيَيْـــهِ عَلَـــى شَـــرخ رَحلِهـــا أَخُـــو قفـــراتٍ ثُـــمَّ قَـــالَ لهـــا حَـــل
إذا وَثَبَـــتْ مِـــن مَبْـــرَكٍ غَـــادَرَتْ بـــهِ دَمًـــا مـــن أظَـــلٍّ رَاعِـــفٍ لـــمْ يُنعَّـــل
أَلَـــمْ تَعْلَمـــي يـــا عَمْـــرَكِ الله أننـــي أضَـــمِّنُ سَـــيْفِي حَـــقَّ ضَـــيْفِي وَمِرْجَـــل
إذا الشَّـــولُ رَاحَـــتْ وهِـــي حُـــدْبٌ ظُـــهُورُها يَسُـــفْنَ مُقَـــدَّى مُقَـــرَمٍ لَـــمْ يُجَـــزَّل
فأجلـــتْ وقَـــدْ أمْكَنْتُـــهُ مِـــن عَقِيَـــرةٍ تَخَيَّرتُهَـــا سُـــمْنَى أيـــانِقَ بُـــزَّل
أَفَـــزَّ نَسًـــا مِـــن بَعـــدِ ســـاقٍ أثرَّهـــا لُعَـــابُ الفِرنْـــدِ الخَـــالِصِ المُتَنَخِّـــل

تبرز المفارقة هنا من خلال المقارنة بين زمنين متناقضين: أحدهما إيجابي يرتبط بما مضى من الزمن من كرم وقوة وشجاعة ومغامرة في القفار ليلًا، والآخر سلبي يرتبط بما صار إليه من كونه مطرودًا ومسجونًا قد أثرت القيود على جسمه، وأسالت الدماء، ومن ثم يقوم بسرد أحداث الماضي متوحدًا مع ناقته.

فهو يتذكر نزوله مع صاحب له مكانًا مخيفًا مهلكًا مجدبًا، وإن وجد فيه ماء فهو آجن قد تغير لونه وطعمه، وقد تجنب الركبان المرور منه وَخَوَّفَ بعضهم بعضًا منه، ومع ذلك ينزل فيه هو ليلًا من دون خوف، فصاحبه راضٍ بصحبته وقد سوى بينه وبين الشاعر وتوحد معه، ويصفه بأنه مطرود وثيابه رثة ممزقة قد امتلأت بالأوساخ والدماء جراء القيود التي كُبِّلَ بها، يسير سيرًا متواصلًا لا ينيخ بعيره خوفًا من رسل الأمير الذين يتتبعونه ليقبضوا عليه، " والليل ليس بأمثل من النهار، بل إنه يضيف على مخاوف النهار وحرارته رعب الظلام وهول المخاوف الأسطورية والخرافية الجاثمة من عزيف الجن ونعيب الهام وعواء الذئاب.... لقد تعاون الجميع على عزف سيمفونية للرعب والقبح، زاد من حدتها صوت وجيب قلوب هؤلاء الخائفين على أنفسهم مما يحمله إليهم المجهول من هلاك"(1)، وإذا تأملنا في صفات صديقه نجد أنها صفات الشاعر نفسه، فالشاعر ليس له صديق غير نفسه يجرد - من ذاته - ذاتًا أخرى، يتوحد معها؛ ليواجه واقعه المحاصر له.

ومن ثم يُعرِّج لوصف رحلته ومغامرته - وهو أشعث الرأس - على ظهر ناقته السريعة في القفار الواسعة الخالية إلا منه ومن ناقته. ومتوحدًا مع ناقته، إذ يصف قوتها وسرعتها ونشاطها: فهي (منجاة الذراعين، عيهل) أي سريعة، وقد (ضمرت) من كثرت الأسفار حتى صارت ضامرة البطن قوية سريعة تتحمل المشاق، ونشيطة يخرج (اللُّغام) وهو الزبد من فمها لفرط نشاطها في الصحارى والقفار كأنه قطن يُغزل، ويسيل الدم من أقدامها ومناسم خفها من سيرها في القفار كأنه دم راعف. وما هذه الصفات إلا صفاته هو، فنحن هنا" أمام درجة من درجات تفاعل الذات الشاعرة مع موضوعها؛ فالشاعر لا يسقط مشاعره على ناقته، ويخلع عليها حزنه العميق من قدره فحسب، بل نحن أمام ذات تحاول أن تعي نفسها من خلال تأملها لموضوعها"(2)، فهو يرفض الإناخة أو الراحة مواصلًا رحلته، فقد ألقى الوسادة كناية

(1) دراسات تحليلية في الشعر العربي القديم، ثناء أنس الوجود، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، 1420هـ 2000م، ص127.
(2) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1992م، ص205.

عن عدم نومه، وهو في سيره على ظهر ناقته، يحاول أن يسابق الزمن الذي أسلمه لهذا السجن ليس منه فكاك" فالزمن يجري والناقة بعده تجري، وكأن بينهما ثأرًا، وكأنها تريد أن تدرك شيئًا غامضًا"(1).

ويتمادى مع هذه القفار واصفًا نفسه بأنه (أخو قفرات) بصيغة الغائب، وكأنه شخص آخر غريب في هذه القفار؛ ليصف كرمه في الأخير وكيف ينحر نوقه لضيوفه.

ويتذكر جحدر حياته - قبل السجن - مقارنًا بينها وبين ما صار إليه في السجن، فيقول:

إنـــي أرقـــتُ لبـــرقٍ ضَـــافَنِي ســـاري … كـــأنَّ فـــي العـــين منـــهُ مـــسَّ عُـــوَّار

أو حَـــرَّ فُلْفُلـــةٍ كانـــت بهـــا قـــذِيَتْ … لمـــا بَـــرَى قِشْـــرَها عـــن حَرِّهَـــا البَـــاري

إنَّ الهمـــــــوم إذا عَادَتْـــــــكَ وَاردةً … إنْ لَـــمْ تُفَـــرِّج لهـــا وِرْدٌ بِإِصْـــدَار

كانـــت عليـــك سَـــقامًا تَسْـــتَكِينُ لـــه … وَأَنْصَـــــبَتْكَ لِحَاجَـــــاتٍ وَإِذْكَـــــار

فصـــرتُ فـــي السـجنِ والحـراسُ تَحْرُسُـنِي … بعـــدَ التَّلَصُّـــص فـــي بـــرٍّ وأمصـــار

وســـير حـــرفٍ تجـــوبُ الليـــلَ جافلـــة … عـــومَ الســـفينةِ فـــي ذي اُلْلُجَّـــةِ الجـــاري

يـــا نفـــسَ لا تجزعـــي إنـــي إلـــى أمَـــدٍ … وكـــلُّ نفـــسٍ إلـــى يـــومٍ ومِقْـــدار

ومـــا يُقـــرِّبُ يـــومي مـــن مَـــدَى أَمَلِـــي … فـــاقْنَي حَيَـــاءَك تَرحـــالي وتَسْـــياري

إنـــي إلـــى أجـــلٍ إن كنـــتِ عالمـــة … إليـــهِ مـــا منتهـــى علمـــي وآثـــاري

للهِ أنـــتِ فـــإن يعصـــمكِ فاعتصـــمي … وإن كـــذبتِ فحســـبي اللهُ مـــن جـــار

إدعيـــــهِ ســـــراً وناديـــــهِ علانيـــــة … واللهُ يعلـــــمُ إعلانـــــي وإســـــراري

ومـــا الســـعادةُ فـــي الـــدنيا لـــذي أمـــلٍ … إنَّ الســـعيدَ الـــذي ينجـــو مـــن النـــار

سَـــقياً لســـجنك مـــن ســـجنٍ وســـاكنهِ … بديمـــةٍ مـــن ذِهـــابِ المـــاءِ مـــدرار

بكـــــلِّ جَـــــونٍ روايـــــاهُ مُطَبَّعَـــــة … واهِـــي العَزَالِـــي مـــن الجـــوزاءِ جَـــرَّار(2)

يقدم الشاعر مشهدًا للبرق الذي يزوره ليلًا محملًا بالهموم، مشبهًا إياه بالضيف غير أنه ضيف مفارق لأدب الضيافة؛ إذ تسبب في مرض العينين، وكأن القذى قد دخلهما، أو أصابهما حر فلفل. ويرغب في نسيان همه خارج هذا السجن، غير أن الواقع يحول بينه وبين ذلك؛ فترتد همومه إلى نفسه أمراضًا واستكانة وضعفًا، إذ تعمل فيه الخراب من خلال تذكره لهمومه.

ويحمل مشهد البرق المفارقة في الآلام التي يحملها في نفسه، والآمال التي يرمز إليها البرق في شوقه لأحبابه، وتتحقق المفارقة هنا بين حالتين متناقضتين عاشهما: كيف كان؟ وكيف أصبح؟! كان لصًا فاتكًا في البوادي والحواضر، وغدا في السجن مقيدًا. وتزيد هذه المفارقة نفسيته توترًا وقلقًا، إذ لا تستطيع نفسيته المنطلقة أن تتحمل هذا القيد، ولا هذا الحبس. وتزيد لفظة (بعد) المفارقة حدة من خلال الحالة التي صار إليها من لص فاتك - يخافه الجميع - إلى سجين مقيد تحرسه الحراس (والحراس تحرسني)

(1) صوت الشاعر القديم، مصطفى ناصف، ص68.
(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 158/1، 159.

ويزيد صوت السين المكررة في البيت- وهو صوت مهموس- الشاعر حسرة من هذه الحال، وكذا استخدامه ضمير الذات في (فصرت، تحرسني) فمثله ينبغي ألا يكون في هذا المكان، والحراس تحرسه، ومن المعلوم أن الحراسة تعني الحفظ، وحرس فلانًا: حفظه (1)، فهو يتهكم من كونه في السجن والحراس تحرسه، إذ كيف يصبح مقيدًا محروسًا؟! وهو الذي ملأ البوادي والحواضر خوفًا وفزعًا منه، وتلصص أي تكررت سرقته (2)، وجاب الليالي على ظهر ناقته القوية الصلبة التي تقطع الصحراء كأنها سفينة تمخر في البحار.

لقد كان خارج السجن لصًا فاتكًا منطلقًا حيث شاء، ومن ثم غدا في السجن محاصرًا خنوعًا مستسلمًا، وتكرار صوت السين المهموس يتلاءم مع هذه الحالة؛ فالسجن هو المكان الذي لا يستطيع أن يفلت منه. إنه القدر الذي كُتب له، وهنا تتجاذب نفسه حالتا الأمل واليأس، والحياة والموت. غير أن اليأس يتغلب؛ إذ لا أمل له في الخروج من السجن، ومن ثم أدرك حقارة الحياة، والمصير المحتوم الذي ينتظره؛ لذا واجه هذا المصير بصبر وثبات، واستسلم استسلام الطائع، فقد تحول السجن من عذاب ووحشة إلى سعادة وأنس، فالسعادة الحقيقية ليست في طول الأمل، بل هي في النجاة من النار، والتقرب إلى الله والرضى بالموت؛ فيدعو لهذا السجن ولساكنيه بالسقيا بالأمطار الغزيرة المتتابعة. إنه الإيمان بالقدر والتسليم المطلق له، بعد أن عاش المفارقات العديدة في حياته من إغارة وسلب ونهب، ومن ثم انتهى به الأمر في السجن.

فالمفارقة هنا تقوم على كسر أفق توقع المتلقي، إذ يبني توقعه من خلال واقع الشاعر المسجون (بذم) هذا السجن، غير أن الدلالة تغير مجراها؛ من خلال دعاء الشاعر لهذا السجن بالسقيا، ما يجعل المتلقي يعيد قراءة البيت بطريقة مخالفة لتوقعاته.

مفارقة الطيف:

ومن مفارقات الذات مع نفسها: مفارقة طيف خيال المحبوبة، الذي يأتيه ليلًا وهو في السجن، يائسًا من خروجه. وقد يئس من الجميع، ولم يتبق له سوى طيف المحبوبة، الذي يأتيه ليلًا، فهذا الخطيم المحرزي يذكر طيف المحبوبة، يقول:

سمت لي بالبين اليماني صبابةٌ ... وأنت بعيدٌ قد نأيتَ عن المِصْر

أتيح لذي بثٍّ طريدٍ تَعُودُهُ ... همومٌ إذا ما بات طارقها يسري

بنجران يقري الهمَّ كلَّ غريبة ... بعيدةِ شأوِ الكَلْمِ باقيةِ الإثر

يُمَثِّلُهَا ذو حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهُ ... كئيبٌ يُؤَسَّى بين قَرْنَة والفَهْر

فَقَالَ وَمَا يَرْجُو إلى الأهْلِ رَدَّةً ... وَلَا أنْ يَرى تِلْكَ البِلَادَ يَدَ الدَّهْرِ

لَعَمْرُكَ أنِّي يَومَ نَعْفِ سُوَيقَةٍ ... لَمُعْتَرِفٌ بِالبَين مُحْتَسِبُ الصَّبْرِ

عَيُوفُ الذي قالت تَعَزَّ وَقَدْ رَأَتْ ... عَصَى البين شُقَّتْ وَاخْتِلَافًا من النَّجْرِ

(1) تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، تحقيق/مجموعة من المحققين ومراجعة: عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1975م – الكويت، مادة حرس، 531/15.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، تحقيق/عبدالكريم العزباوي، مراجعة: عبد الستار فراج ، مطبعة حكومة الكويت 1979م، مادة فراج مادة لصص، 146/18.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

عَلَيْـــكَ السَّـــلَامُ فَارْتَحِـــلْ غَيْـــرَ بَاعِـــدٍ وَمَـــا الْبُعْـــدُ إِلَّـــا فِـــي التَّنَـــائِي وَفِـــي الْهَجْـــرِ

فَقُلْـــتُ لَهَـــا إِنِّـــي سَـــتَبْلُغُ مُـــدَّتِي إِلَـــى قَـــدَرٍ مَـــا بَعْـــدَهُ لِـــي مِـــن قَـــدرِ (1)

يصف حالته في السجن في قيوده، وهو سجنٌ حسيٌّ ونفسيٌّ، يزيد حالته شوقًا إذا جن الليل؛ إذ يسرح بخياله واصفًا الصحراء وأهوالها، وكيف يقطعها هو ليلًا ونهارًا. ويذكر طيف الشوق الذي يأتيه، إذ يهيجه وهو بعيد عن وطنه بل عن كل الأمصار؛ فيتحدث عن نفسه بصيغة الخطاب، مجردًا من ذاته ذاتًا أخرى، فيوجه الخطاب لنفسه (وأنت، نأيتَ) وهو بذلك يحاول مواجهة نفسه بالحقيقة، وهي اليأس من الخروج من السجن والعودة لموطنه. ويلتفت أيضًا - ن الحديث عن نفسه بصيغة المخاطب (وأنتَ، نأيتَ) - إلى الحديث عن نفسه بصيغة الغائب (لذي بثٍّ، طريدٍ، تَعُودُهُ، بات، يقري) وفي كلتا الالتفاتتين يلتفت إلى نفسه، إذ يبدؤها بضمير المتكلم، ومن ثم ضمير المخاطب ليصير غائبًا. والغرض من ذلك الإنكار على نفسه وما حل بها؛ فقد صار غريبًا. والمبالغة في وصف ما صار إليه من هموم وغربة جسدية ونفسية، وهي انفعالات متتالية، تعبر عما يجول في نفسه من أسى وهموم، وشوق لمحبوبته ولموطنه. وتصف هذه المفارقة نفسيته بين حالتين: كونه في السجن، ورغبته في الانطلاق خارجه، بين شوقه وصبابته، وكونه بعيدًا عن كل ذلك؛ إذ يشعر باستحالة تحققه وخروجه من السجن، وهو مما يزيد حالته النفسية وهمومه ويزيد المفارقة حدة. وعلى الرغم من ذلك، فإنه - خارج أسوار هذا السجن، والانطلاق بعيدًا في الصحراء وخلف المحبوبة - يجد في الخيال تسلية لحالته؛ فقد هيجه الشوق والصبابة لمحبوبته، فالهموم تعوده كل ليلة، ويطرقه طيف المحبوبة كلما حل الظلام ولاح نجم سهيل. ويجد في هذا الطيف تسلية له مما يعانيه؛ إذ يبثُّ من خلاله همومه، كيف لا، وهو مطرود من الجميع لا يتقبله أحد ولا يُلتفت إليه؟! فيبيت يجمع الهموم: هم سجن نجران الذي هو فيه، وهم محبوبته البعيدة في المكان عنه، لكنها قريبة من قلبه، باقية أثر المحبة في نفسه. وهنا يبث آهاته الطويلة؛ إذ يجزم أنه لن يعود إلى أهله ولن يراهم (وَمَا يَرْجُو إلى الأَهْلِ رَدَّةً) ولن يرى بلاده وموطنه أبد الدهر (وَلَا أَنْ يَرَى تِلْكَ البِلَادَ يَدَ الدَّهْرِ)، فقد بلغ منه اليأس مبلغه، فكيف له أن يراها؟! وقد حُكم عليه أن يظل حبيسًا مقيدًا في هذا السجن، ومن ثم يرى في الخيال واستحضار الماضي بديلًا يتأسى به.

يتذكر ساعة البين وموقف حبيبته من رحيله، ومستغربًا من المفارقة التي تطلبها منه هذه المحبوبة، وتريد منه أن يتعزى ويتأسى ويصبر على هذا الفراق، وقد رأت شدة وجده وهيامه واستحالة صبره، وقلة حيلته على ذلك؛ فقد حان الفراق والبين والبعد، واستحال التلاقي بعد ذلك، طالبة منه أن يرتحل غير بعيد، وهي مفارقة: فإذا لم يكن البعد في التنائي وفي البعد والهجر فأين يكون؟! وأخيرا، يعلن استسلامه للقدر وللنهاية المحتومة؛ فهو لن يعيش إلا ما قدر الله له أن يعيش، ومن ثم الاستسلام للموت وللقدر المكتوب الذي حدد له.

وفي خضم هذا الحصار الجسدي والنفسي في السجن، لا يملك سوى استدعاء الأماكن التي تحمل ذكرياته القديمة:

أَلَـــا لَيْـــتَ شِـــعْرِي هَـــلْ أَبِيـــتَنَّ لَيْلَـــةً بِـــأَعْلَى بَلِـــيٍّ ذِي السَّـــلَامِ وَذِي السِّـــدْرِ

وَهَـــلْ أَهْـــبَطَنْ رَوْضَ الْقَطَـــا غَيْـــرَ خَـــائِفٍ وهـــل أُصْـــبِحَنَّ الـــدَّهْرَ وَسْـــطَ بَنِـــي صَـــخْرِ

وَهَـــلْ أَسْـــمَعَنْ يَومًـــا بُكَـــاءَ حَمَامَـــةٍ تُنَـــادِي حَمَامًـــا فِـــي دُرَى تَنْضُـــبٍ خُضْـــرِ

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 242/1 – 244.

وَهَـــلْ أرَيَـــنْ يومًـــا أجيَـــادًا أقُودُهَـــا بِـــذَاتِ الشُّـــقُوقِ أو بَأنْقائِهَـــا العُفْـــرِ
وَهَـــلْ تَقْطَعَـــنَّ الخَـــرْقَ بِـــي عَيْدَهِيَّـــةٌ نجـــاةٌ مـــن العِيـــديِّ تَمْـــرَحُ لِلزَّجْـــرِ
وَهَـــلْ أرَيَـــنْ بَـــينَ الحُفَيـــرَةِ والحِمَـــى حِمَـــى النَّيْـــرِ أو يومـــا بأكْثِبَـــة الشَّـــعْرِ
جَمِيـــعَ بَنِـــي عَمِّـــي الكِـــرَامَ وَإخْـــوَتِي وَذَلِـكَ عَصْـرٌ قَدْ مَضَـى قَبْلَ ذَا العَصْـرِ(1)

يتمنى لو بات ليلة في (وذي السِّلام، وذي السِّدر، وروض القطا، وبني صَخْر، وتَنْضُب، وذي الشُّقُوق) نلحظ أنه يُكْثِر من ذكر أسماء المواضع في النص، وهي أسماء مواضع كان الشاعر يمر فيها، يتمنى من خلال هذه الاستدعاءات الخلاص مما هو فيه ولو بالخيال. إذ يتمنى المبيت بأعلى ذي السلام وذي السدر، ويرغب في الاستعلاء على هذا الحصار المطبق عليه من كل جانب، وأن يهبط في روض القطا غير خائف، يطلب الأمن والخوف الذي يفتقده ويرغب في تحقيقه. ويتمنى أن يصبح وسط بني صخر، نلاحظ لفظتي (وسط، صخر) توحيان في سياقهما بالحماية والمنعة التي افتقدها وطلبها في قومه. ويستمر في أمنياته في أن يسمع بكاء الحمام في ذرى تنضب، وهي تبكي، وكأنها تبكي حزنًا عليه وعلى فراقه، فتحن إليه في حين تخلى قومه عنه، ليسرح خياله بعدها في ذكر أولاد عمه، فيتمنى أن يراهم متذكرًا كيف كانوا في ألفة واجتماع متحدين، يخلص بعضهم لبعض قبل أن تدعوهم الغواة للتشتت والفرقة، وهو في كل ذلك يستعطفهم؛ لينقذوه ويخرجوه من السجن ويعودوا متحدين كما كانوا من قبل.
لقد أحس الشاعر - في هذا السجن - باليأس من خروجه منه فهو الموت البطيء؛ إذ أعمل السجن الخراب في جسمه، وجعل نفسه يائسة من الخلاص. فالسجن هو الموت البطيئ، وهو النهاية المؤلمة لكل من دخله، ومن ثم لم يجد الشاعر أفضل من خيال المحبوبة وطيفها " يتعلل بها، لكنه سرعان ما يدرك خيبة هذا الأمل، وبُعد هذا التصور؛ بسبب نذر دمه وتهديده باجتنابها"(2).
ويقول السمهري العكلي:

لَقَـــدْ طَرَقَـــتْ لَيْلَـــى وَرِجْلِـــي رَهِينَـــةٌ فَمَـــا رَاعَنِـــي فِـــي السِّـــجْنِ إلّـــا سَـــلَامُهَا
فَلَمَّـــا ارْتَفَقْـــتُ لِلْخَيَـــالِ الَّـــذِي سَـــرَى إذِ الأَرْضُ قَفْـــرٌ قَـــدْ عَلَاهَـــا قَتَامُهَـــا
وَنُبِّئْـــــتُ لَيلَـــــى بِـــــالغَرِيَّيْنِ سَـــــلَّمَتْ عَلَـــــيَّ وَدُونِـــــي طِخْفَـــــةٌ فَرِجَامُهَـــــا
أَلَـــا لَيْتَنَـــا نَحْيَـــا جَمِيعًـــا بِغَبْطَـــةٍ وَتَبْلَـى عِظَـامِي حِـينَ تَبْلَـى عِظَـامُهَا(3)

ويقول أيضًا:

ألا طَرَقَـــتْ لَيْلَـــى وسَـــاقِي رَهِينَـــةٌ بِأشْـــهَبَ مَشْـــدُودٌ عَلَـــيَّ مَسَـــامِرُهُ(4)
ألا طَرَقَـــتْ لَيْلَـــى وسَـــاقِي رَهِينَـــةٌ بِأسْـــــمَرَ مَشْـــــدُودٌ عَلَـــــيَّ ثَقِيْـــــلُ
فَـــإنْ أنْـــجُ مِنهْـــا أنْـــجُ مِـــنْ ذِي عَظِيمَـــةٍ وإنْ تَكُـــنِ الأُخْـــرَى فَتِلْـــكَ سَـــبِيلُ(5)

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 244/1، 245.
(2) شعراء أمويون، 136/1.
(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 283/1 – 284.
(4) نفسه، 275/1.
(5) نفسه، 279/1.

وعادة ما يطرقه خيال المحبوبة ورجله رهينة مقيدة مشدودة بالحديد في السجن (وساقي رهينة، مشدود الوثاق، السجن، رهين، غريب)، ويكثر من ذكر اسم المحبوبة أثناء ذلك (طرقت ليلى، فإن أنج يا ليلى..)، فالقيد مشدود ونفسيته مشدودة يائسة من الخلاص، وليس له من تخفيف هم سوى ذكر المحبوبة وطروق خيالها، فهو نوع من التخفيف والتسلية عما يعانيه، ففي طروق خيالها وذكرها" صورة من صور التفريج وطرد الهموم والارتياح، إلى هذه اللمحات الخاطفة التي كان يصنعها أو يتصورها؛ ليبتعد عن واقعه المؤلم، ويخلد إلى الصورة التي كان يتمناها"(1).

مفارقة الذات مع القبيلة:

عادة ما تقوم القبيلة بحماية أبنائها والوقوف بجوارهم إذا واجهتهم الخطوب، يلجأ إليها المرء لتنجده وتقف بجواره، غير أن قبيلة عكل عادة ما تخذل أبناءها وتتركهم يواجهون الظلم وحيدين "ووفقًا لهذا التحول السالب تصبح مركزية القبيلة المقترنة بمفهوم القداسة/ التحريم متهاوية نحو اللامركزي/ الهامش"(2)، فهذا السمهري العكلي يمتلئ شعره بالحديث عن التشرد والخوف والقلق، وترتفع آهاته وصرخاته باحثًا عن النصرة والأمان، عله يجده في قبيلته التي ما انفك يدافع عنها، محاولًا استثارة حميتها دون جدوى، ليصل في الأخير إلى التنصل منها ومن أناسها شبانها وشيبها، يقول:

ألا لَيْتَنِـي مِـنْ غَيْـرِ عُكْـلٍ قبيلَتِـي ... ولَـمْ أدْرِ مَـا شـبّانُ عُكْـلٍ وَشِـيبُهَا

قُبيِّلَـةٌ لا يَقْـرَعُ البَـابَ وَفْـدُهَا ... بِخَيْـرٍ وَلاَ يَـأْتِي السَّـدَادَ خَطِيبُهَـا

فَـإنْ تَـكُ عُكْـل سَـرَّهَا مَـا أصَـابَنِي ... فَقَـدْ كنْـتُ مَصْـبُوباً عَلَـى مَـنْ يَرِيبُهَـا(3)

تظهر المفارقة بينه وبين قبيلته عكل: بين موقفه منها وموقفها منه، فيصل إلى حد اليأس، ويتمنى أنه لم يكن من هذه القبيلة، ولم ينتسب لها، إذ الواجب على القبيلة الدفاع عن رجالها وحمايتهم والوقوف ضد عدوها ونصرة المظلومين منها، وفك أسيرهم، وهو ما لم تفعله قبيلة عكل، فهذه القبيلة لا يأتي خير منها. هو يعلن القطيعة معها إذن، ويتحدث عنها مستخدمًا ضمير الغائب: شيبها، وفدها، خطيبها، سرها، يريبها.... ويكثر من استخدام ضمير المتكلم؛ للمقابلة بين حالتين: حالة الماضي الإيجابية (كنت، مصبوب) إيجابيته في الدفاع عن قبيلته، واستبساله عنها، ضد كل ما يصيبها، وبين سلبية قبيلته في التخلي عنه وتركه مسجونًا مظلومًا: (ليتني، قبيلتي، أصابني، أدر).

لقد أحس السمهري بالضياع والتشرد والغربة: الغربة عن نفسه وعن أرضه وأحبابه وقبيلته، لقد تنكر الجميع له وتخلوا عن نصرته واحتوائه، فأمسى طريدًا مشردًا، فانطلق هو وصاحبه ابن أبيض تائهين مبتعدين" عن أعين الناس، بحثًا عن الأمان المفقود وانتجاعًا للأرض التي يستطيعان فيها البقاء، دون ان يحسّا بأشباح المطاردة التي بُثت عليهما في كل مكان، وأصبحا يتخوفان من كل إشارة"(4)

ألـم تـر أنـي وابـن أبـيض قـد جفـت ... بنـا الأرضُ إلا أن نـؤمَّ الفَيَافِيَـا

طريـدين مـن حيـين شـتَّى أشـدّنا ... مخافتنـا حتـى نَخَلَنَـا التصـافيا(5)

وهذا الخطيم المحرزي يكشف المفارقة بين موقفه من قومه، وموقفهم منه وهو مسجون بنجران:

---

(1) شعراء أمويون، 138/1.
(2) مفارقات الهامش – قراءة في نونية قريط بن أنيف، المجلة العربية للعلوم الإنسانية – الكويت، يوسف عليمات، مج 34، عدد 135، 2016م، ص50.
(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 272/1.
(4) شعراء أمويون، 133/1.
(5) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 286/1.

بَنـــي مُحـــرزٍ هَـــل فـــيكُم ابـــنُ حَمِيَّـــةٍ ... يَقـــومُ وَلَـــو كـــانَ القيـــام علـــى جمـــر
بمـــا يُـــؤمِنُ المَـــولى وَمـــا يَـــرأبُ النَـــأيَ ... وَخَيـــرُ المَـــوالي مِـــن يَـــريشُ وَلا يَبـــري
كَمـــا أنـــا لَـــو كـــانَ المُشَـــرَّدُ مِـــنكُم ... لَأبلَيـــتُ نُجحـــاً أو لقيـــتُ عَلَـــى عُـــذرِ
لَأعطيـــتُ مِـــن مـــالي وَأهلـــي رَهينَـــةً ... وَلا ضـــاقَ بِالإصـــلاحِ مـــالي وَلا صَـــدري
بَنـــي مَحـــرزٍ مَـــن تَجعلـــونَ خَليفَتـــي ... إذا نـــابَكم يَومـــاً جَســـيمًا مِـــنَ الأمـــرِ
بَنـــي مُحـــرزٍ كُنـــتُم وَمـــا قَـــد عَلِمـــتُم ... كَفاريَـــةٍ خَرقـــاءَ عَيَّـــت بِمـــا تَفـــري
رَأت خَلَـــلاً مـــا كُلُّـــهُ سَـــدُّ خَرزِهـــا ... وَأثـــأى عَلَيهـــا الخَـــرْزُ مِـــن حَيـــثُ لا تَـــدري
بَنـــي مُحـــرزٍ أن تَكـــنِسِ الـــوَحشُ بَيـــنَكم ... وَبَينـــي وَيَبعُـــدْ مِـــن قُبـــورِكُم قَبـــري
فَقَـــد كُنـــتُ أنهـــى عَـــنكُم كُـــلّ ظـــالِمٍ ... وَأدفَـــعُ عَـــنكُم بِاليَـــدَينِ وَبِـــالنَحرِ
مُعَنَّـــى إذا خَصْـــمٌ أدَلَّ عَلَـــيكُم ... بنـــي مُحْـــرزٍ يومًـــا شَـــدَدْتُ لَـــه أزْرِي
بِحَـــدِّ سِـــنَانٍ يُســـتعدُّ لِمِثْلِـــهِ ... وَرَقْـــمٍ لِسَـــانٍ لَـــا عَيـــيٍّ وَلَـــا هَـــذْرِ(1)

تبرز المفارقة من موقف أبناء قبيلته تجاهه وهو مسجون؛ إذ يوجه إليهم استفهامًا استنكاريًا يتهكم - من خلاله - في مواقفهم تجاه القيام بواجباتهم تجاهه من جهة، وتجاه بعضهم بعضًا من جهة أخرى من تأمين فقيرهم، وإغاثة المحتاج الطريد. وتزداد حدة المفارقة من خلال تكرار النداء (بني محرز) حاذقًا منها أداة النداء؛ للتقرب إلى قومه ومحاولة استعطافهم، مذكرًا إياهم بمكانته منهم: إذ من سيقوم مقامه إذا حل بهم أمر أو نزلت بهم مصيبة؟! ويقرن النداء مرتين بالاستفهام، وثالثة بجملة الشرط، ورابعة بجمل خبرية، يشبه فيها قومه بدونه بالعاملة الخرازة، التي حاولت إصلاح خرزها فأفسدته بعجزها عن إصلاحه، وكذلك أمر قبيلته التي تعجز عن دفع المكاره إلا به:

- بَني مُحرزٍ هَل فيكُم
- بَني مَحرزٍ مَن تَجعلونَ
- بَني مُحرزٍ أن تَكنِسِ الوَحشُ
- بَني مُحرزٍ كُنتُم وَما قَد عَلِمتُم

وتقترن نبرة الإنكار باستعطافهم؛ إذ يضع مقارنة بينه وبينهم توضح المفارقة بين الموقفين: فلو كان المسجون واحدًا منهم، لبذل كل ما بوسعه معه، ولبذل من ماله، ولرهن - حتى من أهله - ليفتديه من الأسر، ولما ضاق صدره ولا ماله من ذلك. وهو بذلك يلفت إلى موقفهم منه: فهو مشرد وطريد، ويحتاج إلى من يمد إليه يد العون، ويقومب افتدائه وإخراجه من السجن في نجران؛ لانتشاله من التشرد والضياع، وهو استعطاف منه لهم؛ ليخرجوه من السجن ويفتدوه. ويستمر في تعميق المفارقة؛ من خلال تذكيرهم بمواقفه معهم، بدفع كل ظالم عنهم بكل ما يستطيعه: باليدين وبالنحر، وبالسِّنَان، وباللسان، كناية عن بذله كل شيء: بجسمه وسيفه ولسانه.

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 246/1، 247.

وفي موضع آخر، يبين الخطيم المحرزي المفارقة بين ظلم قومه وكرههم له، وإنصاف الآخرين وحبهم له:

بَنـــي ظـــالِمٍ إن تَظلِمـــوني فَـــإنَّني إلـــى صـــالِحِ الأقـــوامِ غَيـــرُ بَغـــيضِ

بنـــي ظـــالم إن تمنعـــوا فضـــل مـــا بكـــم فـــإن بســـاطي فـــي الـــبلاد عـــريض(1)

وهذا جحدر المحرزي حاصرته الهموم، وأحاطت به مفارقات الحياة من كل جانب. فعاش آلامه وآماله ورغبته في الحياة والانطلاق وحصار الواقع له، وإحساسه بالضياع والتيه في هذه الحياة؛ ما جعله "رهين هم ملازم، وفريسة نوازع تشاؤمية حادة لا تنفك تعاوده كلما حاول التخلص منها؛ لأنه أصبح مقرًا لها، وقد استقرت هذه الصور في نفسه استقرارًا عميقًا؛ حتى صارت جزءًا من وجوده، وصفحة من صفحات حياته الحافلة بكل ضرب من ضروب الخوف والفزع والغربة"(2)، يقول جحدر وهو في سجن الحجاج:

تَـــأوَّبَني فَبِـــتُّ لَهَـــا كَبِيعًـــا هُمُـــومٌ لَـــا تَفَـــارِقُنِي حَـــوانِ

هـــي العُـــوَّادُ لا عُـــوَّادُ قَـــومِي أطَلْـــنَ عِيَـــادَتِي فِـــي ذا المَكَـــانِ

إذَا مَـــا قُلْـــتُ: قَـــدْ أجْلَـــينَ عَنِّـــي تَنَـــى رَيعـــانَهُنَّ عَلَـــيَّ ثَـــانِ

فَـــإنَّ مَقَـــرَّ مَنْـــزِلِهُنَّ قَلْبِـــي فَـــإنْ أنْفَهْنَـــهُ فَالقَلْـــبُ آنِ

أَلَـــيسَ اللهُ يَعْلَـــمُ أنَّ قَلْبِـــي يُحِبُّـــكَ أيُّهَـــا البَـــرْقُ اليَمَـــانِي

وَأهْـــوَى أنْ أُعِيَـــد إلَيـــكَ طَرْفِـــي عَلَـــى عَـــدْواءَ مِـــن شُـــغُلٍ وَشَـــانِ

فَيَـــا أخَـــوَيَّ مِـــنْ جُشَـــمِ بـــنِ سَـــعدٍ أقِـــلاَّ اللـــومَ إن لَـــم تنفعـــاني

إذا جاوزتمـــا سَـــعَفَاتِ هَجْـــرٍ وأوديـــةَ اليمامـــةِ فانعيـــاني

وقـــولا جحـــدرٌ أمســـى رهينًـــا يحـــاذرُ وقـــعَ مصـــقولٍ يمـــانِ

إلـــى قـــومٍ إذا ســـمعوا بنعيـــي بكـــى شُـــبَّانُهُمْ وَبَكـــى الغَـــوانِي

يحـــاذرُ صـــولة الحجـــاج ظلمًـــا ومـــا الحجـــاج ظلامًـــا لجـــانِ

ألـــم ترنـــي غُـــذِيتُ أخـــا حُـــروبٍ إذا لـــم أجـــنِ كنـــتُ مِجَـــنَّ جَـــانِ

فـــإن أهْلِـــكْ فَـــرُبَّ فَتًـــى سَـــيَبْكِي علـــيَّ مُخَضَّـــبٍ رَخِـــصِ البَنَـــانِ

ولـــم أكُ مـــا قضـــيتُ ديـــونَ نفســـي ولا حـــقَّ المهنـــدِ والســـنانِ(3)

يذكر الهموم التي تنتابه ليلًا في السجن، وهي همومٌ حوانٍ تحنو عليه، وهي مفارقة وتهكم بهذه الهموم التي تعاوده وتتردد عليه، تعاوده وتجعله (كبيعًا) أي مشدودًا مأسورًا ذليلًا خاضعًا لا حيلة له، ولا مقدرة

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 248/1.
(2) شعراء أمويون 159/1.
(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 172/1 – 175.

عنده لمقاومتهن، كان يتمنى أن يزوره قومه ويفتدوه من الأسر، لا هذه الهموم التي تطيل في عيادته، وهي عيادة غير مرحب بها؛ لأنها تعوده وتزوره لا لتنفس عليه، بل لتزيد من همومه ويأسه في مغادرة هذا السجن. وإذا ما ظن أنهن قد ذهبن عنه ورحلن، ثنى ريعانهن عليه مرة أخرى، وهي صورة تبين قوة المعاودة، إذ يعاودنه بريعانهن، أي: بقوتهن وشبابهن.

لم يعتمد الشاعر بنية لفظية معينة - يظهر من خلالها المفارقة - بل من خلال الأبيات التي شكلت علاقته مع قومه. فتشكلت المفارقة من العلاقة بين موقف قومه، مستحضرًا اثنين من قومه في الواجب عليهما من الوقوف معه، وفك أسره من السجن، وما يمارسان من لومه وخذلانه وتركه في السجن أسيرًا، وبين ما كان عليه من الشجاعة، وخشيته من أن يموت ولم يؤد حقوق قومه عليه من الدفاع عنهم. والملاحظ أن جحدر، يختلف موقفه من قومه عن موقف الخطيم المحرزي، إذ لم يعاتب قومه كما فعل الخطيم بل اكتفى بذكر لومهم له، والحديث عما يعانيه (يحاذر صولة الحجاج، يحاذر وقع مصول يمان، أمسى رهينًا...) ولم يطلب منهم فك أسره، بل يطلب عدم لومه عما يعمله (أقلاَّ اللومَ إن لم تنفعا لي) وقد" ظلت أنفاس الشاعر وتطلعاته القبلية تصب في إطار التزامه القبلي، وتشد من ارتباطه الوثيق بهذا الالتزام؛ لأنه مؤمن بالتجاوب الحقيقي الذي تنطلق منه هذه الارتباطات، ولكن الذي يبدو هو أن قومه غير قادرين على رد ما كان يتعرض له من قضاء أو دفعه عنه"(1).

ثانيًا: أنواع المفارقة:

المفارقة اللفظية:

هي: "شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر، يخالف غالبًا المعنى السطحي الظاهر"(2) إذ تمثل اللغة حلقة الوصل بين التعبير والفكر، ويعبر كل شخص - من خلالها - عما يدور في نفسه بأسلوب يختلف عن الآخر، وقد تعددت أساليب الشعراء الصعاليك - في قبيلة عكل - في التعبير عما يدور في نفوسهم من آمال وآلام.

وتتشكل هذه المفارقة: حين يؤدي اللفظ مدلولين متناقضين: أحدهما قريب يفسره اللفظ تفسيرًا حرفيًا، والآخر بعيد يفسره السياق، وهي " تثير أسئلة تقع في باب البلاغة والأسلوب والأشكال القصصية والهجائية ووسائل الهجاء"(3) أي أن اللفظ هو المرتكز الأساس في هذا النوع من المفارقة، والسمة الأساس لهذه المفارقة هو التناقض الظاهري للكلام" وتؤدي المفارقة اللفظية دورًا كبيرًا في تقوية جدار النص، إذ إنها تعمل على ترسيخ بنيته وتقوية معماره، كما إنها تعمل على دفع القارئ للبحث عن المعنى الحقيقي الكامن وراء النص"(4).

ومن صور المفارقة اللفظية قول جحدر العكلي:

يـا صـاحِبَيَّ وَبـابُ السِـجن دونَكُما هَـل تُؤنِسـان بصَـحراءِ اللّـوى نـارا

لِـوى الـدُّخولِ إلـى الجَرعـاءِ موقِـدُها وَالنـارُ تُبـدي لِـذي الحاجـاتِ أذْكـارا

لَـو يُتبَـعُ الحَـقُّ فيمـا قـد مُنيـتُ بـهِ أو يُتبَـعُ العَـدلُ مـا عَمَّـرتَ (دوّارا)

---

(1) شعراء أمويون، 159/1.
(2) المفارقة القرآنية- دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ 1994م، ص71.
(3) المفارقة وصفاتها، سي ميويك، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ضمن كتاب موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - لبنان، دار عمار عمَّان- الأردن، ط1، 1993م، 73/4.
(4) المفارقة في القصة القصيرة النسوية في الأردن، ازدهار عبد الرحيم الخلايلة، ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن، 2009، ص11.

إذا تَحَـــرَّكَ بـــابُ السِـــجن قـــامَ لَـــهُ قَـــومٌ يَمُـــدّونَ أعناقًـــا وَأبصـــارا (1)

يستدعي جَحْدَر (صاحبيه) كما استدعى الشاعر الجاهلي صاحبيه من قبل، غير أن الفرق أن الشاعر الجاهلي، استدعى صاحبيه في معرض الوقوف على الطلل ووصف الظعائن؛ إذ يطلب منهما مساعدته في تتبع الظعائن ورؤيتها أو رؤية النيران التي يوقدونها. وكذلك الشاعر هنا يطلب من صاحبيه مساعدته في رؤية نيران أحبابه في صحراء اللوى، غير أنه طلب محكوم عليه بالفشل مقدمًا، وهو ما تبرزه المفارقة في الجملة الاعتراضية (وباب السجن دونكما) إذ يعمد الشاعر إلى استباق النتيجة بهذه الجملة؛ فهو ليس طلبًا حقيقيًا بقدر ما هو استدعاء نفسي، يزيد من اشتياق الشاعر إلى موطنه وتذكر الأحباب، وتمنيه الخلاص من هذا السجن والالتقاء بهم. وتبرز المفارقة في هذا السجن في كون النتيجة معروفة مسبقًا، وهو ما يزيد الشاعر حسرة وألمًا.

والنار عادة ما تكون رمزًا للعذاب، غير أنها هنا غدت علامة الفرحة والاستبشار بتذكر الأحباب والأنس بطيفهم؟، وتزداد المفارقة حدة من خلال ذكر موضع بلده (الدَخول، الجَرعاء) وبينهما يمتد موقد النار التي يتخيلها، وهي نار العذاب والغربة داخل السجن، وشدة الشوق إلى أحبابه، وهي نار طيف الأحباب يجتمع فيها المفارقة بين الشوق لأحبابه وبين كونه في السجن، إذ يحول باب السجن دون رؤيتها.

وهو يستدعي في هذه الأبيات قصة يوسف عليه السلام، مع صاحبي سجنه في قوله تعالى (يا صاحبي السجن) فإذا كان يوسف عليه السلام قد ظلم من قبل الملك، فإن الشاعر قد ظلم أيضًا في هذا السجن (دوّار) وذكر اسم السجن يزيد من ألم الشاعر وحسرته، ويثير الأحزان والمشاعر السلبية؛ من خلال الأحداث التي يعانيها فيه، وما تتبعها من ذكريات أليمة لا تنسى بسهولة. وإذا كانت براءة يوسف عليه السلام قد ظهرت - ورفع الملك من شأنه - واتضح أن ذلك مكايدات، فإن الشاعر يأمل في إظهار براءته وإنصافه من الوشايات والمكايدات. وهو لا يطلب الإنصاف لنفسه فحسب، بل يطلبه لجميع من في السجن، فجميع من في السجن مظلومون؛ لذا راح يصف حالتهم النفسية فيه، واصفًا باب هذا السجن، فهو باب مصنوع من الساج، وعليه قفل أمين صرار:

فِـــي جَـــوفِ ذِي شُـــرُفَاتٍ سُـــدَّ مَخْرَجُـــهُ بِبَـــابِ سَـــاجٍ أمِـــينِ القُفْـــلِ صَـــرَّارِ (2)

فباب السجن يمثل الأمل واليأس في الوقت نفسه. إنه حاجز بين الحرية والعبودية، بين الانطلاق والحبس، فإذا تحرك هذا الباب مدَّ مَنْ في هذا السجن أعناقهم؛ أملًا في الخروج والانعتاق منه، والصورة في قوله (يمدون أعناقًا وأبصارًا) تزيد من تعاطف المتلقي مع هؤلاء المسجونين ظلمًا، إذ توحي الأعناق والأبصار نحو الخارج بتتابع المد وتكرارها - برغبة وحرص واهتمام - للأمل الذي يراودهم في الخروج من السجن، والتخلص منه؛ فمن خلال هذا الباب - وهذه الشرفات - ينتظر الأمل، ومن خلالها تنثال عليه أطياف الأحبة؛ لينطلق في خيالاته محلقًا معهم.

ويعقد مفارقة بين ما هو كائن في السجن، وبين ما ينبغي أن تكون حالة هذا السجن: وقد اختصر ما يحدث له في السجن باسم الموصول (ما) في قوله (فيما قد منيت به) هروبًا من ذكر ما يعانيه في سجنه وتقييدهم له، فلو اتبع الحق فيما أصابه وابتلي به، لما عُمِّرَ هذا السجن به وبأمثاله، وما صار مكانًا للكرام يُذَلّون فيه ويذوقون ألوان العذاب، في حين أن غيرهم من اللئام طلقاء، وهو ما يذكره في موضع آخر:

أقـــولُ لِلصـــحبِ فـــي البَيضـــاءِ دونَكُـــم مَحَلَّـــةٌ سَـــوَّدَت بَيضـــاءَ أقطـــاري

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 156/1، 157.
(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 160/1.

مَـــأوى الفَتـــوَةِ لِلأنـــذالِ مُـــذ خُلِقَـــت عِنـــدَ الكِـــرامِ مَحَـــلُّ الـــذُلُّ وَالعَـــارِ

كَـــأنَّ ســـاكِنَها مِـــن قَعرِهـــا أبَـــدًا لَـــدى الخُـــروجِ كَمُنتـــاشٍ مِـــنَ النـــارِ(1)

وتبرز المفارقة في لفظ (البيضاء) وهو موضع في البصرة، وفيه السجن، واللون (الأبيض) لا يتلاءم مع السجن؛ لأنه يدل على الصفاء والعدل والإشراق والأمل والراحة النفسية.. غير أن البيضاء هنا غدت سجنًا، يحوي صنوف العذاب والقهر والذل والحرمان والكبت؛ فهي بيضاء في اللفظ وسوداء في أفعالها؛ لأنها سودت حياته. ونلاحظ الجناس في لفظة البيضاء: فالبيضاء الأولى مكان وموضع بالبصرة وهو المُخَيِّس (2)، والمُخيِّس: السّجن لأنه يُخيِّس المَحْبوسين (3)، في حين بيضاء الثانية وصف لحياته التي كانت بيضاء حولها السجن إلى سوداء. وتزداد حدة المفارقة من لفظ (دونكم) إذ يقوم صانع المفارقة بالتهكم والسخرية من السجن؛ من خلال الصيغة المستخدمة (دونكم) وهي اسم فعل أمر بمعنى خذ أو الزم على سبيل الإغراء. وهو ما يشكل تناقضًا بين واقع الشاعر في السجن، وبين الصيغة المستخدمة؛ ما يحتم على المتلقي إعادة تفسير البيت بطريقة مخالفة للمدلول الحرفي.

والمأوى: المكان والمنزل، وأويت بمعنى عُدت (4) فهذا السجن مكان ومنزل يعود المرء إليه ليأوي ويأنس به، غير أنه هنا مكان (للأنذال) فقط مذ خلقت هذه المدينة، ووضعت فيها هذه السجون، أما الكرام فهي عندهم مأوى للذل، والعار الذي يلحق بهم جراء التعذيب الذي يحصل لهم فيه. ويزداد المتلقي تعاطفًا؛ من خلال استدعاء الشاعر لنار جهنم، إذ يغدو كل من دخل إليها سكانها للأبد، فهم في قعرها أي عمقها ومنتهاها، كقعر جهنم، ومن يخرج منها كأنه انتاش وخرج من النار، وانتاش الشيء: اسْتَدْرَكه واسْتَنْقَذَه(5)، وفيه معنى البطء ونَأشَ الشيءَ: أخَّرَه وانْتَأشَ: تأخَّرَ وتَباعدَ والنَّئِيشُ الحركةُ في إبْطاء(6)

ويتحدث عن حالتهم قبل: فمنازلهم متفرقة، وبيئاتهم مختلفة، فهم مشتتون، وقد أُلف بينهم سجن (دوّار) وجمعهم فيه، وهو مجاز؛ إذ ينسب الجمع للمكان وهو سجن (دوّار)، فالشاعر هنا يعمد إلى إحداث مفارقة في لفظة (ألف)، وهي لفظة تحمل في سياقاتها الدلالة على الاجتماع والأنس، غير أنها هنا غدت خوفًا وعذابًا؛ إذ يوردها في سياق وصف حالته مع أصحابه في السجن، فيبدأ بدعوته لله تعالى: أن يجيره من شر ما هو خائف منه. وفي دعوته لله دلالة على بلوغه حد اليأس من خلاصه من هذا السجن، والله وحده هو من يستطيع تفريج همه. ثم يصف ما يلاقيه هو وأصحابه في هذا السجن، فهم في أزل، والأزْلُ" الضيق والشدّة والأزْلُ الحبس، وأزَلَه يأزِلُه أزْلاً حبسه، والأزْلُ شدّة الزمان"(7)، فهم في الضّيق والعذاب النفسي والجسدي، إذ يَمنعون عنهم الزُّوَّار، ويصور كيف توضع أقدامهم في مقطرة: وهي خشبة تفصل اللحم عن العظم، وهي كناية عما يعانون من عذاب داخل السجن، إذ يُفصل لحم أقدامهم عن العظم بفعل هذه المقطرة، فكأنهم حيوانات تُذبح وتُفصل لحومها عن العظم، وتوحي لفظة الجزار بمدى ما بلغهم من العذاب، يقول:

إنِّـــي دَعَوتُـــك يـــا إلـــه مُحَمَّـــدٍ دعـــوى فَأوَّلُهـــا لِـــيَ اســـتغفارُ

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 161/1.
(2) لسان العرب، ابن منظور، صححه/محمد عبد الوهاب – محمد العبيدي دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان، 1999م، 260/4.
(3) نفسه، 260/4.
(4) نفسه، مادة أوا، 274/1.
(5) نفسه، مادة نأش، 6/14.
(6) نفسه، مادة نأش، 6/14.
(7) نفسه، مادة أزل،134/1.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

لِتُجيرَنِــي مــن شَــرِّ مَــا أنَــا خَــائِفٌ رَبّ البَرِيَّــةِ لــيس مِثْلَــكَ جَــارُ

تَقْضِــي ولا يُقْضَــى عليــك وإنَّمَــا ربــي بعلمــك تَنْــزِلُ الأقْــدارُ

كانَــت مَنازِلُنَــا الّتــي كُنّــا بهــا شَــتّى وَأَلّــفَ بَيْنَنــا (دوّار)

ســجنٌ يُلاقــي أهْلُــهُ مِــن خَوفِــهِ أزْلاً وَيُمنَــعُ مِــنهُمُ الــزُوّارُ

يَغشَــونَ مِقطَــرَةً كَــأنَّ عَمودَهــا عُنُــقٌ يُعَــرِّقُ لَحمَهــا الجَــزّارُ (1)

ويخالف دلالة لفظتي (بيت - دار) في دلالتهما على الاستقرار والأمن والخلود للراحة، ومن ثم الانتشار في الأرض، وانحرف بهما عن سياقهما اللغوي والاجتماعي ودلالتهما الإيجابية؛ ليعبر بهما في هذه الأبيات عن السجن، لتغدو كل منهما ذات دلالة سلبية: فهذا السجن بيت جمع فيه العذاب والحبس وانعدام الأمان، إنه بيت من سقر؛ لذا فهو أبغض بيت عند الله تعالى. وهي دار غير أنها دار قد عفّى عليها الدهر، وصارت موحشة، تجمع فيها الناس كلهم؛ دلالة على انتشار الظلم وامتداده ليشمل الجميع. ويؤكد ذلك باحتواء هذا السجن على كل إنسي سواء كانوا من البدو أو من الحضر. وفي استدعائه للفظ الجلالة؛ ليؤكد أن الله تعالى بريء من هؤلاء السجانين، وممن يضعون الناس فيها باسمه تعالى. وفي استدعائه (سقر) دلالة على مصير هؤلاء في الآخرة؛ فهو عذاب للمظلومين في الدنيا، غير أنه بيت من سقر، وموعد للظالمين ينتظرهم في الآخرة جزاء؛ ما فعلوه بالمظلومين في السجن.

وتزداد حدة المفارقة من خلال وصفه للسجن بالمثوى، وفي المثوى دلالة على الإقامة والاستقرار زمنًا طويلًا؛ ما يزيد من حسرة الشاعر ويأسه من خروجه من السجن، إذ يغدو مكانًا للجمود وعدم الحركة، مكانًا يدخل فيه الناس ولا يخرجون. وهو دار غير أنها دار قد عفّى عليها الدهر، فغدت موحشة من كل بشر، يقول:

يــا رَبِّ أَبْغَــضُ بَيــتٍ عنــد خالِقِــهِ بَيــتٌ بِكَوفــانَ مِنــهُ أشــعِلَت سَــقَرُ

مَثــوى تَجَمَّــعَ فيــهِ النــاسُ كُلُّهُــم شَــتّى الأمــورِ فَــلا وِردٌ وَلا صَــدَرُ

دارٌ عَلَيهــا عَفــاءُ الــدَهر موحِشَــة مِـن كُـلِّ إنـسٍ وَفيهـا البُـدوُ وَالحَضَـرُ (2)

ومن المفارقة اللفظية: قول السَّمْهَري العُكَلِي من أبيات يمدح فيها الحارثيين، يطلب منهم في نجدته، يقول:

فــلا تيأســا مــن رحمــة الله وانظــرا بــوادي جَبُونــا أن تهــب شــمالُ

وَلَــا تَيأَسَــا أن تُرزَقَــا أرْيَحِيَّــة كَعَــين المَهَــا أعْنَــاقهنَّ طِــوَالُ

مِــن الحــارثِيِّين الــذين دِمَــاؤُهُم حَــرَامٌ وأمَّــا مَــالُهُم فَحَلَــالُ(3)

وتتجلى المفارقة اللفظية بين لفظتي (حرام، حلال)، فدماؤهم حرام على أعدائهم: لا ينالون منها شيئًا، وهي كناية عن قوتهم ومنعتهم وتفوقهم على الأعداء، وصعوبة النيل منهم. في حين أن أموالهم حلال على الغير، وهي كناية عن كرمهم؛ فهي حلال على كل من أرادها، لكرمهم وطيب أنفسهم في ذلك.

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 15/1.
(2) نفسه، 157/1.
(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 279/1.

المفارقة الدرامية:

وفيها تكون ضحية المفارقة (جاهلة) بما يدور حولها، مع علم بقية الأطراف والجمهور بالأمر: أي أن هناك ثلاثة أطراف تشترك في هذه المفارقة: الضحية وهي جاهلة، إذ تقوم بأفعال لا تدرك حقيقتها، والطرف الثاني وهو صانع المفارقة وهو مدرك لحقيقة الأفعال التي تقوم بها الضحية، والطرف الثالث وهو الجمهور أو المتلقي، وهذا الطرف يدرك حقيقة هذا الفعل، ونلحظ أن الطرفين الثاني والثالث يكتفيان بمشاهدة الضحية تتخبط، راغبين في تنبيهها إلى جهلها. وكلما "كان المشاهد على علم مسبق بما سوف يكتشفه ضحية المفارقة فيما بعد، ازداد تأثير المفارقة في المشاهد نفسه" (1).

ويحاول الشاعر - من خلال المفارقة الدرامية - التعبير عن رؤيته للحياة والمجتمع من حوله؛ إذ تعتمد هذه المفارقة (على بنية العمل) أكثر من اعتمادها على العلاقات الدلالية بين الكلمات. وتتحقق من خلال تعاطف الجمهور مع الضحية، وجهلها بالمصير الذي ستصير إليه، إذ تقوم بإثارة القارئ بالكشف عنها من خلال التوترات التي تضعها المفارقة في النص، والفرق بينها وبين المفارقة اللفظية" أنها تقوم على خيال درامي، يتمثل في تقديم المبدع المواقف والأحداث التي تثير الإحساس بالمفارقة"(2)

ومن أمثلة المفارقة الدرامية قول السمهري:

لَقَـــدْ جَمَـــعَ الحَـــدَّادُ بَـــيْنَ عِصَـــابَةٍ ... تَسَـــاءَلُ فـــي الأسْـــجَانِ مَـــاذَا ذُنُوبُهـــا

مُقَرَّنَـــةِ الأقْـــدَامِ فِـــي السِّـــجْنِ تَشْـــتَكِي ... ظَنَانِيـــبَ قَـــدْ أمْسَـــتْ مُبِينـــاً عُلُوبُهَـــا

إذَا حَرَسَـــيٌّ قَعْقَـــعَ البَـــابَ أرْعِـــدَتْ ... فَـــرَائِصُ أقْـــوَامٍ وَطَـــارَتْ قُلُوبُهَـــا

نـــرى البـــاب لا نسْـــطِيع شـــيئًا وراءه ... كأنـــا قِنـــيٌّ أسْـــلمَتْهَا كُعُوبُهـــا

بِمَنْزِلَـــةٍ أمَّـــا اللَّئِـــيمُ فَـــآمِنٌ ... بِهَـــا وَكِـــرَامُ القَـــوْمِ بَـــادٍ شُـــحُوبُهَا(3)

تتجلى المفارقة في هذه الأبيات؛ من خلال وجودهم في السجن من دون أن يعرفوا سببًا لذلك، وهو ليس سجنًا واحدًا، بل سجون. وهو ينسب جمعهم إلى الحداد الذي صنع القيود التي كبلوا بها، والفاعل الحقيقي هو الحاكم، سخرية بالسجن وتهكمًا به وبمن أودعهم في السجن؛ إذ لا يمكن أن يأمر بذلك المنصف العادل، والجمع في الأصل يدل على القوة والموافقة، صحيح أنهم متفقون، غير أن اتفاقهم في معاناتهم في السجن، والعصابة: جماعة ليس لها واحد (4)، فهم من بقاع شتى جمعتهم مظلوميتهم لا يعرفون ما ذنوبهم، ولم هم في السجن؟! إذ لم يقترفوا ذنبًا يوجب ذلك. وتتعمق هذه المفارقة في أصناف العذاب الذي يلاقونه في السجن.

وقد قُيِّدَت أرجلهم وشُدَّت ووصلت بعضها ببعض، ويصف معاناة هذه الأقدام وشكواها من القيود التي أثرت على ظنابيبها، وهي جمع ظنبوب، أي: "حَرْفُ العظم اليابِسُ من السَّاق"(5)، فقد أثرت هذه القيود على عظام سيقانهم، وأصبحت ظاهرة مكشوفة اللحم من أثر القيود والضرب الذي يتعرضون له، ويصف الحالة النفسية التي يعانونها في السجن من الحرسي، وهم "حَرَس السلطان الذين يُرَتَّبونَ لحِفظِه وحِراسَتِه"(6): فإذا حرك الحرسي باب السجن ارتعدت فرائصهم، وطارت قلوبهم، وأقصى ما يستطيعون

(1) المفارقة والأدب – دراسة في النظرية والتطبيق، خالد سليمان، دار الشروق، عمان – الأردن، ط1، 1999م، ص31.
(2) المفارقة في شعر إبراهيم نصر الله، إسراء سلامة مقدادي، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد – الأردن 2017م ص37.
(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 271/1، 272.
(4) تاج العروس، مادة عصب، 768/1.
(5) لسان العرب، مادة ظنب، 572/1.
(6) تاج العروس، مادة حرس، 3893/1.

رؤيته هو الباب المغلق، وهو علامة للحواجز التي تحول بينهم وبين الحرية التي ينشدونها لأنفسهم، ويرغبون في رؤيتها وراء هذا الباب، ويشبه حالتهم النفسية جراء فتح الحسي لباب السجن بالقني- وهي الرماح - التي تكسرت كعوبها وأصبحت عاجزة جوفاء، فقد انكسرت نفوسهم وأهينوا داخل هذا السجن دون ذنب، وأصبحوا كهذه الرماح الجوفاء، وهو هنا إذ يعيش مفارقة: بين رجائه في النجاة والخروج من السجن، وبين أمر السجان بقتله إذا تحرك الباب وأقبل السجان، يقول:

فإن أنجُ منها أنجُ من ذي عظيمة ... وإن تكن الأخرى فتلك سبيل(1)

وفي موضع آخر يقول:

ألا أيها البيت الذي أنا هاجره ... فلا البيت منسيٌّ ولا أنا زائره

فإن أَنْجُ يا ليلى فرُبَّ فتًى نَجَا ... وَإنْ تَكُن الأخْرى فَشِيءٌ أُحَاذِرُه(2)

ومن المفترض أن يكون هذا السجن مأوى اللئام، غير أن المفارقة جعلته مأوى للكرام؛ إذ يذيقهم فيه اللئام ألوان العذاب، إنها صرخة في وجه الزمن التعيس والواقع المعكوس.

مفارقة الحدث:

يمكننا التفريق بين "المفارقة الدرامية ومفارقة الأحداث، ففي الأخيرة يساير جهل الضحية جهل الجمهور الذي يشارك الضحية في غفلتها"(3)، أي أن كلتا المفارقتين تسير بالحدث إلى نهاية المفارقة. غير أن الفرق يكمن في الجهل والمعرفة: ففي المفارقة الدرامية نجد أن طرفًا - أو أكثر - على علم بالمفارقة من بداية الحدث، أما في مفارقة الحدث فيساير جهل الضحية جهل الجمهور، وتُكتشف المفارقة في نهاية الحدث. أي أن المفارقة الدرامية لاتصل إلى نهاية الحدث؛ لأن موضوعها الجهل وعدم الوعي بحقيقة ما يجري، في حين أن مفارقة الحدث تصل إلى النهاية.

وفي مفارقة الحدث" يعبِّر الضحية صراحة عن اعتماده على المستقبل بدرجة تزيد أو تنقص، لكن تطورًا غير منتظر في الأحداث يقلب ويربك خططه وتوقعاته، وآماله ومخاوفه أو رغباته. ثم يحصل على ما كان قد تمناه مرة، ولكن في آخر المطاف وبعد فوات الأوان"(4)، ومن أمثلة مفارقة الحدث قول جحدر العكلي:

يا جُمْلُ إنكِ لو شَهدتِ كريهتي ... في يَومِ هَولٍ مُسدِفٍ وَعَجاج

وَتَقَدُّمي لِليثِ أرسُفُ موثَقًا ... كيما أكابِرَهُ عَلى الأحراج

أقبلتُ أرسُفُ في الحَديدِ مُكَبَّلًا ... بِالمَوتِ نَفسي عِندَ ذاكَ أُناجي

وَالناسُ مِنهُم شامتٌ وَعِصابَةٌ ... عَبَراتُهُم بي في الحُلوق شَواجي

قِرنانِ مُحتَضَرانِ قَد مَحَضْتُهُمَا ... أمُّ المَنِيَّةِ غَيرُ ذاتِ نِتاجِ

لمّا نَزَلتُ بِحُصنِ أزبَرَ مُهصِرٍ ... لِلقِرنِ أرواحُ العِدى مَجّاج

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 279/1.
(2) نفسه، 275/1.
(3) المفارقة في الشعر العربي الحديث – محمود درويش – أمل دنقل – سعدي يوسف) ناصر يوسف إبراهيم جابر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، 2000م، ص57.
(4) المفارقة وصفاتها، سي ميويك، م4 ص94.

نازَلتُــــــهُ إنَّ النِــــــزالَ سَــــــجِيَّتي إنّــــي لِمَــــن سَــــلَفي عَلــــى مِنهــــاجِ
وَعَلِمــــتُ أَنّــــي لَــــو أَبَيــــتُ نِزالَــــهُ أَنّــــي مِــــنَ الحجّــــاجِ لَســــتُ بِنــــاجِ
فَفَلَقــــتُ هامَتَــــهُ فَخَــــرَّ كَأَنَّــــهُ أُطُــــمٌ هَــــوى مَتقــــوِّضَ الأَبــــراجِ
ثُــمَّ اِنثَنَيــتُ وَفــي قَميصــي شــاهِدٌ مِمّــا جَــرى مِــن شــاخِبِ الأَوداجِ(1)

تمثل القصيدة صورة كلية تحكي صراع الشاعر مع الأسد، إذ تنتظم أجزاؤها وتترابط وتتمدد؛ لتشكل صورة كلية "تتفاعل وتترابط وتتسلسل بطريقة ينمو معها الإحساس والأفكار والمشاعر، وتبدو الصورة الكلية حية متدفقة، ترتبط بالتيار الشعوري الموحد للقصيدة"(2)، لتكتمل المفارقة في نهاية القصيدة، إذ تشير الأحداث المتوقعة إلى كون الشاعر مهزومًا من الأسد: فالشاعر مقيد، والأسد مفترس وجائع، غير أن الشاعر هنا يخرق أفق توقع القارئ أو الجمهور، إذ يصرع الشاعرُ المقيدُ الأسدَ المفترسَ، مما يزيد المفارقة حدة وثراء؛ من خلال الفخر بنفسه والسخرية والتهكم بالآخر الذي أراد قتله.
وتتضح المفارقة: بين تكبيل الحجاج للشاعر بالقيود، وبين تركه يواجه أسدًا ضاريًا، لم تُترك للشاعر فرصة للاختيار: فهو بين وعيد الحجاج بالقتل، وبين نزال الأسد. فيبدأ الشاعر بوصف هذه المواجهة بأنها حرب شديدة، فهي مكروهة؛ لاختلال موازين القوى بين رجل مكبل وأسد طليق، ويصف شدة المعركة من خلال وصف زمان المواجهة ومكانها: فاليوم يوم هول مخيف، وميدان المعركة مظلم لكثرة الغبار فيه، وتزداد المفارقة عمقًا من خلال شجاعته وتقدمه للمواجهة وهو يرسف، أي يمشي في قيده ببطء يقال رَسَفَ أي: "مشى مشي المقيد إذا جاء يتحامل برجله مع القيد"(3)؛ ليصارع الأسد ويغالبه (أقبلت أرسُفُ في الحَديدِ مُكَبَّلًا).
وتظهر معرفة المتلقي بعبثية هذه المواجهة؛ لاختلال موازين القوى بين شخص مكبل، وبين أسد ضارٍ، إذ تترك هذا المواجهة المتلقي إما شامتًا به، أو متعاطفًا مع الشاعر. ويصور الحالة النفسية للمتعاطفين مع الشاعر، فهم متعاطفون معه، ودموعهم في حلوقهم تكاد تشرقهم من كثرة الحزن. ويصف تفاعله - مع ما يشاهده من دموع المتعاطفين معه - في قوله؛ من خلال استخدامه لياء المتكلم في قوله (عَبَراتُهُم بي في الحُلوقِ شَواجي) أي بسببي، وبما يرونه من حالتي في هذه المواجهة.
غير أن النهاية تخرق أفق المتلقي، إذ ينتصر الشاعر ويُصرع الأسد من أول المواجهة. إنه الصراع بين الحق والباطل، بين الظالم والمظلوم، ينتهي هذا الصراع بانتصار الحق، ونلاحظ أن الشاعر يذكر خصمه مستخدمًا ضمير الغائب، فالباطل مُغُيَّبٌ وضعيف، وإن تلفع بجلد أسد وبدا قويًا وحاضرًا.
وفي موضع آخر يحمد جحدر الليالي، التي أحسنت إليه وأطلقته من هذا الأسد، ومن سجن (الديماس) وهو سجن كان بواسط، واصفًا ما يعانيه من دخله، مفارقًا بين من هو خارج هذا السجن وبين من هو داخله، فمن كان فيه فهو ميت، وإن كانت فيه حياة، فهو حي كميت،

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 152/1 - 154.
(2) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1994م، ص141.
(3) تاج العروس مادة رسف، 338/23.

يقول:

إنَّ اللَّيـــالي نَجَـــت بـــي فَهـــيَ مُحسِـــنَةٌ لا شَـــكَّ فيـــهِ مِـــنَّ الـــدِّيماسِ وَالأسَـــدِ

وَأطلَقَتنـــــي مِـــــنَ الأصـــــفادِ مُخرِجَـــــةً مِـــن حَـــولِ سِـــجنٍ شَـــديدِ البَـــأسِ ذي رَصَـــدِ

كَـــــأنَّ ســـــاكِنَهُ حَيَّـــــا حَشاشَـــــتُهُ مَيْـــتٌ تَـــرَدَّدَ مِنـــهُ الســـمُّ فـــي الجَسَـــدِ(1)

النتائج

وبعد هذه الوقفة مع المفارقات عند الشعراء اللصوص من قبيلة عكل، توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1- حصار الواقع بعناصره المختلفة للشاعر (كونه مسجونًا) وما يتعرض له من ألوان العذاب في هذا السجن، يحاول مواجهة ذلك ليستسلم في الأخير إلى قدره، بعد شعوره باليأس.

2- يعمد الشاعر إلى استدعاء الزمن (الماضي) زمن الحرية والقوة والكرم والانطلاق؛ من خلال الرحيل بخياله إلى ذلك الزمن، محاولًا التماسك أمام واقعه، وبعث الأمل في نفسه. فيُمضي همومه متوحدًا مع نوقه، ومع الصحارَى المهلكة الموحشة يواجه من خلالها واقعه؛ لما يجد في نوقه من صفات الجلد والصبر والقوة والسرعة، ولما في الصحارى من سعة وامتداد، يتنفس من خلالها حريته، وما فيها صلابة وحر وتصبر يُسْقِطُها على نفسه.

3- يوازن بين زمنين: الزمن الماضي زمن القوة والسلب والنهب وقطع الطرق وخوف الجميع منه، والزمن الحاضر زمن الضعف والانهزام والاستسلام السجن والقيد في قدميه.

4- ومن وسائل مواجهته للواقع - وما يعانيه من سجن ويأس من خروجه منه - طيف المحبوبة الذي يطرقه ليلًا، وعادة ما يطرقه خيال المحبوبة ورجلاه مشدودة بقيد، وكأن هذه الطروق تسلية له، يواجه من خلالها هذ السجن، وألوان العذاب التي يلاقيها.

5- في حديثه عن يأسه واستسلامه، يستخدم عدة أساليب أبرزها أسلوبا التجريد والالتفات؛ إذ يجرد من نفسه ذاتًا أخرى، يحاول من خلالها مواجهة ذاته، بحقيقة استحالة خروجه من السجن، وإقناعها بالاستسلام للقدر.

6- يشكو لصوص قبيلة عكل من خذلان قبيلتهم لهم وعدم نجدتهم وافتدائهم من الأسر. يحاولون استثارة حميتها واستعطافها دون جدوى، موضحين المفارقة بين موقفهم منها وموقفها منهم، كيف كانوا يدافعون عنها؟ وكيف سيكون موقفهم لو تعرضت لأذى؟ في حين خذلتهم هي وتركتهم في السجن دون افتداء، أو الدفاع عنهم، ليعلن بعضهم القطيعة معها ومع أبنائها.

7- المفارقة اللفظية؛ من خلال تأدية اللفظ مدلولين متناقضين، في الغالب يعبر - من خلالها الشاعر - عن شوقه لأحبابه، وتتبع ظعائنهم ونيرانهم، تتخللها بعض الاستدعاءات كاستدعاء مظلومية يوسف عليه السلام، ومقارنتها بمظلوميته. ويستخدم كثيرًا من الألفاظ والمواضع التي تعبر عما يعانيه الشاعر العكلي، في مواجهته لحصار الواقع له.

8- المفارقة الدرامية ومفارقة الحدث، ويعبر الشاعر من خلال هاتين المفارقتين عن الظلم الذي تعرض له هؤلاء الشعراء من واقعهم: من طرد وفقر وتشرد وسجن. دون أن يعرفوا سببًا لذلك، وما يتعرضون له في هذه السجون من ألوان العذاب الجسدي والنفسي من حراس السجن.

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، 155/1.

المصادر والمراجع

1- تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين ومراجعة: عبد الستار فراج، مطبعة حكومة الكويت.
2- دراسات تحليلية في الشعر العربي القديم، ثناء أنس الوجود، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، 1420هـ - 2000م.
3- ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، صنعه: محمد نبيل طريفي، محمد علي بيضون دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، ط1، 2004م - 1425هـ.
4- شعراء أمويون دراسة وتحقيق: نوري حمود القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل – العراق.
5- صوت الشاعر القديم، مصطفى ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.
6- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 1994م.
7- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط3.
8- عن بناء القصيدة العربية الحديثة علي عشري زايد، مكتبة ابن سيناء، القاهرة – مصر، ط4 1423هـ 2002م.
9- قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1986م.
10- القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، مج2، عدد2، فبراير – مارس، 1982م.
11- قضايا المصطلح الأدبي، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، مج7، ع3، 4، إبريل- سبتمبر 1987.
12- لسان العرب، ابن منظور، صححه: محمد عبد الوهاب – محمد العبيدي، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان، 1999م
13- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت – لبنان، ط 2، 1995.
14- مفارقات الهامش – قراءة في نونية قريط بن أنيف، المجلة العربية للعلوم الإنسانية – الكويت، يوسف عليمات، مج 34، عدد 135، 2016م.
15- المفارقة القرآنية - دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ 1994م 71.
16- المفارقة في القصة القصيرة النسوية في الأردن، ازدهار عبد الرحيم الخلايلة، ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن، 2009.
17- المفارقة في شعر إبراهيم نصر الله، إسراء سلامة مقدادي، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد – الأردن 2017م
18- المفارقة وصفاتها، سي ميويك، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ضمن كتاب موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - لبنان، دار عمار، عمَّان- الأردن، ط1، 1993م.
19- مناورات الشعرية، محمد عبد المطلب، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط1، 1406هـ 1996م.